مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 02 مارس (2021) - ص 83- 93

إبستمولوجيا الخطاب ضمن المقاربة البينية رؤية في المفاهيم والعلاقات

Epistemology of discourse within an intra-regional approach within vision in concepts and relationships

سلمى جلاب

selmadjellab123@gmail.com

مخبر الدراسات الاجتماعية اللغوية والاجتماعية التعليمية والاجتماعية الأدبية.

جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/21 تاريخ القبول: 2021/01/17 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص البحث

تقتضي التخصصيةُ المتجاوزةُ لبناء جسورٍ بين ما هو علمي وما هو إنساني, إلى تأسيس منهجي للحوار. فما تحتاجه الدراسات البينية هو النزوع إلى التفكير المختلف، وربط التخصصات ؛ بحكم تعدد التصورات في موضوعات الخطاب, من خلال الوسم الاجتماعي المفعم بأشكال التواصل، داخل الخطاب الواحد, فالرؤية تختلف بين الخطابات, فيتحول إلى ملتقى لمختلف الأصناف، مقيما جسرا بين الحقول المعرفية، هادفا لتجاوز التخصص، ومكرّسا للدراسات البينية على اختلاف أنماطها. هل تنتج الدراسات البينية تفاعلا بين تخصصات ؟ باعتبارها مبدأ للبحوث المعرفية. فأين تلتقي الدراسات ما بعد الحداثية والبينية في حقول الخطابات.

الكلمات المفتاح: الدراسات البينية, الخطاب, تحليل الخطاب, ما بعد الحداثة.

ABSTRACT:

The interaction between deciplines requires integrated model to build bridges among what is scientific, technical and spiritual in order to establish a dialogue between cultures. For this reason, we say tha tinterdisciplinary needs a different style of thinking along with connecting sciences with each other. In this way, discourse becomes a cross road to distinctive sciences.

Keywords: interdisciplinary- discourse-discourse analysis multidiciplinary- post-modernity

1. مقدمة:

حاولت دراسات عديدة تحديد مفهوم الخطاب بالاستناد إلى أبعاد متعددة، غير أنه يمكن إجمالا اعتبار تلك الدراسات قد قامت بتحديد الخطاب من عدة زوايا، وصرنا أمام شبكة من المفاهيم والمصطلحات العابرة للتخصصات؛ لذلك أصبح رسم حدود بين العلوم من الأمور المستعصية، بل إن التخصص الواحد يتمظهر في وجوه عديدة نتيجة التخصصات المختلفة التي تتجاذبه.

لقد فرضت العولمة على العالم المعاصر متغيرات وتوجهات عديدة منها: ضرورة الاهتمام بوحدة المعرفة، وأهمية تكامل الجهود لتحقيق شمولية الرؤى المستقبلية اللازمة, وقد أوجب ذلك ضرورة تطوير نظم التعليم على كافة مستوياته، وذلك بإحداث المزج والتكامل بين التخصصات[1], وهو ما أطلق عليه مدخل التخصصات أو الدراسات البينية Interdisciplinaire، الذي تبلورت ملامحه منذ عشرينيات القرن الماضي، ثم استخدم بشكل موسع في عام 1937م, وأعدت في ضوئه برامج ومقررات تكاملت فيها فروع المعرفة المختلفة, تم إقرارها في العديد من الجامعات البريطانية والأمريكية ومنها: الميكانيكا الحيوية، والعلوم الصحية، والطب الرياضي.

ومن هنا نهدف إلى إثبات صلاحية التخصصية المتجاوزة في معالجة تحليل الخطاب، من خلال المقاربة البينية والبحث عن الرؤية العالمية للخطاب بمفهومه الشامل, إلى جانب تمثل المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في هذه الدراسات داخل ما يعرف بالتحليل البيني للخطاب.

الإشكال:

هل استطاع الخطاب أن يكون ملتقى مجموع المعارف التي أسهمت اللسانيات في تقريبها لدراسة مختلف الظواهر المتعلقة بالإنسان وقدراته الإبداعية في الأدب؟ أم يمتد مجال تحليل الخطاب ليأخذ من النظريات المختلفة المجاورة للسانيات, في ضوء التشظي المعرفي الحاصل في طروحات ما بعد الحداثة؟.

هل تنتج الدراسات البينية تفاعلا بين تخصص أو أكثر؟، باعتبارها المبدأ الذي تقوم عليه البحوث المعرفية، وضمن إشكالية ما بعد التخصص، وأين تلتقي الدراسات ما بعد الحداثية والتخصصات البينية في حقول الخطابات الأدبية؟

وللإجابة على هذه الإشكالات لابد من التطرق إلى أساسيات الخطاب المشكلة في مجملها للميكانزمات الإجرائية الضرورية لفحص الخطاب الطبيعي، أو التخييلي الإبداعي الأدبي, في سياق الكشف عن محمولات الخطابات المختلفة؛ بغية الارتقاء بالقراءة القائمة على التفاعل مع أي خطاب إلى مستوى فهم الخطاب أولا، وإنتاج خطاب في مستواه ثانيا.

2. المقاربات البينية بين المفهوم والمصطلح:

البينية منهج يسهم في تبادل الخبرات البحثية, والاستفادة من الخلفيات الفكرية والمناهج البحثية المختلفة, بين الباحثين وإدماجها في إطار مفاهيمي ومنهجي شامل, يساعد على توسيع إطار دراسة المشكلات وتقديم فهم أفضل لها, الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى الخروج بنتائج دقيقة وتقديم حلول نافعة قابلة للتطبيق, تتكون كلمة البينية interdisciplinary من مقطعين أساسيين مقطع Inter وتعني بين وكلمة discipline تعني مجال دراسي معين، عرّفها كلاين ووليم على أنها دراسات تعتمد حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية التي يتم بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة أو حل المشاكل, أو معالجة موضوع واسع جداً يصعب التعامل معه من طريق نظام أو تخصص واحد2.

باتت البحوث البينية مجالاً خصباً للباحثين، لما تمثله من أهمية في دراسة ظواهر المجتمع المختلفة، ومشكلاته المعقدة التي تحتاج إلى عبور الحواجز المعرفية, فيما بين العلوم الاجتماعية والطبيعية, فبعد عقود من التخصص المتزايد على المستوى الرأسي– أي فيما بين العلوم الاجتماعية – والمستوى الأفقي:–أي فيما بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية –تبين أن هناك اتجاهاً متزايداً نحو تمويل مشروعات بحثية تحاول أن تعزز البحوث البينية, بوصفها وسيلة لتشجيع التقدم العلمي والتكنولوجي، والاستفادة من المخرجات البحثية في التنمية الإنسانية وتحسين جودة الحياة3.

1.2 البينية بين التحدي وتخطي العراقيل:

إذا كانت البينيّة موضوعاً مُتقدماً نسبياً في المستوى الإبستيمولوجي, والمفهومي, والمنهجي, أو الإجرائي, فإن عدداً كبيراً من العراقيل يبقى ثابتاً في طريق تحققه الفعلي, الذي يقتضي أخذه في الحسبان لتجاوزه بشكل أفضل, ورغم أن البينيّة في الواقع مرغوبة بشدّة من قِبَل المؤسسات الجامعية, فإن هذه المؤسسات تبقى دقيقة التنظيم في شكل كلّيات وأقسام ومخابر ومراكز بحوث مستقلة نسبيّا[4].

ومن العراقيل التي اعترضت الدراسات البينيّة نجد معوقات رسمية وغير رسمية, ومن أمثلة المعوقات الرسمية:

- ✓ تعقد الإجراءات الإدارية والقرارات الرسمية بالجامعات والمراكز البحثية.

أما غير الرسمية:

- ✓ متمثلة في الباحثين وشبكة العلاقات داخل كل تخصص, أو القطاع العلمي الواحد ودرجة الوعي لدى الباحثين بأهمية الدراسات البينية.
- ✓ إضافة إلى معوقات مرتبطة بالمجتمعات نفسها خاصة المجتمعات التقليدية[5] . التحديات في مجال علم اجتماع.

نحصر واقع البحوث البينيّة في العالم العربي في ثلاثة أنواع:

1: خاص بالترقي الأكاديمي وهو الأكثر عدداً.

2: في البحوث الاجتهادية وأطلقت عليها هذا المسمى؛ لأنها عبارة عن اجتهادات علمية من قبل بعض المفكرين والباحثين بمحض إرادتهم.

3: فهي البحوث الممولة تسمى بحوث بينية أو مشروعات البحوث البينية.

2.2 دور البينية وأهميتها:

يمكننا القول إن الدراسات البينية ظلت خلال هرم ارتقائها تتسامى إبستيمولوجيا إلى أن وصل الأمر إلى الذروة, إلى الميتامعرفية, فالبحوث البينيّة بكلمة موجزة عن طبيعة العلاقة البينيّة, والتي تعني التفاعل واستخدام أحد طرفي العلاقة البينيّة للطرف الآخر كأداة له, رغم الإقرار بفضل العلوم البينيّة إلا أنها تمثل مرحلة وسطى تمهد لأسمى صور التوحد العلمي: إخبارياً ومنهجياً على مستوى الميتامعرفي[6].

لتفعيل الدراسات البينية في مختلف العلوم نخلص إلى نتائج أهمها:

- ✓ إن إبستمولوجيا الدراسات البينية تمثل انعطافة مهمة في المنهجيات والأنظمة العلمية المعاصرة.
- ✓ تمثل الرؤية البينية رؤى إبداعية معتمدة في الأساس على التحاور بين المناهج.
- ✓ لابد من تبني الرؤية البينية في مجال الأنظمة العلمية القائمة في التعليم؛ لترسخ لدى المتعلم قيم تعدد المنظورات وتفاعلها .
- ✓ لابد من ترسيخ الرؤية البينية في الفضاء الثقافي العام؛ لما لها من دور في إشاعة الانفتاح الفكري .

3. تمثلات الخطاب ومفهومات المصطلح:

طالما مثّل الخطاب وسيلة لكل العلوم مقدماً موضوعاتها ومناهجها, ومفسراً لنظرياتها, وكان ومازال وعاءً تصبُ فيه الفنون والآداب, ولم يتم الاتفاق على تعريف شامل وموحد له.

يعرفه الجابري بأنه: بناء فكري يهدف إلى نقل رسالة من ذات متفكرة_مرسل_ إلى ذات متلقية, وذلك من خلال التواصل مع القارئ, وهذا البناء عبارة عن مقدمات ونتائج تربط بينها علاقة استدلالية, وكل خطاب يتكون في جوهره من مجموعة نصوص؛ مما يعني أن الخطاب يحمل أكثر من رسالة, وتعدد الرسائل هو ما يشكل جوهر الخطاب ويضفي عليه الصبغة الإشكالية[7].

وبإعادة النظر إلى الخطاب الحداثي وطريقة انخراطه في وسائط التكنولوجيا الجديدة، وطريقة تفاعله مع الآخر, ليضمن التواصل الإيجابي والمشاركة في الفعل الثقافي العالمي، نجد اشتراك كل

الثقافات الإنسانية داخله، فازدادت بذلك صلات تحليل الخطاب باللغة والأدب رسوخاً واتساعاً, باتصالها بمختلف المعارف كالفلسفة، واللسانيات، والسيميائيات، وغيرها... الأمر الذي يرفع التعارض بين التنوع في مجالات تحليل الخطاب وخصوصية اللغة والأدب, فينقل الخطاب من خطاب أدبي كفعل ثقافي مركب ومتعدد، ومن هذا المنطلق نجده استغرق جميع الحقول المعرفية التي لها الدور الكبير في تخليص الآثار الأدبية من رواسب المقولات النقدية, التي ترى تأثير العلوم المجاورة في صياغتها ودورها في العملية الإبداعية.

وتحمل الدراسات البينية نظرة نقدية تنحو إلى الشمول, بما يتناسب وشمولية الخطاب, فهو امتداد لرؤية وممارسة جديرة بالتنويه، قادها طائفة من النقاد عربا وغربيين، كلهم انتقلوا من الجملة إلى النص/ الخطاب، كعبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، وحتى علماء الكلام في تعاطي النص الديني، وهاريس الذي تجاوز حدود الجملة إلى الخطاب، وكذلك جيرار جينيت، وجوليا كريستيفا، وميشال فوكو... وغيرهم.

باعتماد الإنسان على الدراسات البينية المعاصرة ، يعبّر عن رغبته في تجاوز اليقينيات القاتلة المؤدية إلى تكلس الفكر، وهذه الرغبة هي التي تدفع الإنسان إلى إدراك الظواهر وتفسيرها؛ باعتبارها ظواهر معقدة، فينبغي عليه أن يغير موقعه في كل مرة تسفر له فيه عن وجه من وجوهها[8].

ونصل إلى نتيجة مفادها أن ترابط بين الخطاب والحقول المعرفية المختلفة, ينطوي على ضمنيات متعددة، منها رسوخ الخطابات في ذهن المتلقي, وذلك من خلال التجارب اليومية، ليصبح الخطاب شائع بين الجميع، ويمارسونه بصورة تلقائية, ويستفاد من ذلك أن مصطلح الخطاب هو فعل تلقائي، يمثل واقعة تلقائية، متجانسة الأبعاد قابلة للعزل والمعاينة.

1.3 الألسنية والخطاب:

ما قدمته اللسانيات من تقدم في دراستها للغة, جعل الدراسات الأدبية تحقق نجاحاً باهرا, فتبلورت العديد من الإنجازات, التي حصلت عليها اللسانيات وانتقلت إلى حقل الدراسات الأدبية, فكان التلازم قائماً بين اللسانيات والأدب منذ الشكلانيين الروس.

حددت اللسانيات (الجملة باعتبارها أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي), وستصبح هذه المقولة التي يعزوها الكثير من الباحثين إلى (بلومفيلد) بمثابة الحجة التي يتفق حولها كل المشتغلين باللسانيات, وعندما نقول إن الجملة هي أكبر وحدة, فمعنى ذلك أنها تتضمن وحدات أخرى يطالها الوصف اللساني بالضرورة.

كما حاول اللسانيون تخطي حدود الجملة, وسُميت الوحدات التي تتجاوز الجملة بمسميات عدة منها الخطاب, الملفوظ, النص, وهاته المصطلحات تتعدد معانيها وتختلف دلالاتها, لكن نجدها

متقاربة ومتداخلة في الكثير من الأحايين, وبسعي هاريس للانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب, ويعرف الخطاب بأنه: متتالية من الجمل تكون مجموعة مغلقة يمكن من خلالها معاينة جملة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية, وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض.

ومن هنا نستخلص أن الخطاب هو: كل مجموع له معنى لغوي كان أو كتابي تضاف إليه تخصصات كالرسم, والنحت, والسينما, وتختلف أبعاده من حالة إلى أخرى، وقد يكون الخطاب جملة مفردة أو نصا.

4. تحليل الخطابات والبدايات:

ظهر مصطلح تحليل الخطاب أول مرة ضمن مقال لـ: ز.س. هاريس سنة 1950 الذي عني في بحوثه لفهم الإجراءات وتبادلات الوحدات الجملية, لكن التأسيس الفعلي لهذا الحقل كان في سنوات الستينات, لما كان يعني الواقع الحقلي لتحليل الخطاب, ونخص بالذكر: إثنوغرافيا الاتصال, تخليل المحادثة, وما قدمته مدرسة باريس من تطوير لتيارات التداولية, نظريات التلفظ, واللسانيات النصية, ويجب ربطه بتأثيرات شتى ميادين من أبحاث ميشال فوكو 1969 الذي دفع تاريخ الأفكار نحو دراسة مختلف التلفظات, أو التي جاء بها باختين والتي تهتم بصفة خاصة بأجناس الخطابات, والبعد الحواري للعملية الخطابية[9].

مما يعني أن الخطاب أصبح أحد انشغالات الدارسين التي بدأت في التطور منذ السبعينات من القرن الماضي, فتمايزت الآراء وتعددت المقاربات ووجهات النظر بدء من تحديد المفهوم (مفهوم الخطاب) ذاته, وكل باحث يحاول الإسهام في إثراء هذا المفهوم متعدد الدلالات التي تتصف بالتعقيد نظرا لتعدد مستوياتها التي تحاول الإفلات من قبضة المحلل فيصعب عليه تحديد موضوعه.

كما أن مصطلح الخطاب يثير الكثير من اللبس لدى الألسنين بعد أن اقتصر استخدام مصطلح الخطاب في الماضي للدلالة على الصياغة الشكلية للكتابة أو الكلام, في حين أنه اكتسب خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين, العديد من المعاني الجديدة, لتزاحم المعنى السابق, بل وتطغى عليه, ويعود السبب الرئيسي في تنوع المعاني وتزايدها, ظهور الدراسات اللسانية الحديثة التي تأثرت بها نظرية الأدب والنقد الأدبي مع ظهور البنيوية في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من ذلك القرن, ذلك بأن مصطلح الخطاب لدى الألسنين يعني الوحدة اللغوية المكتملة, التي تمتد فتشمل أكثر من جملة, ومن ثم كان تحليل الخطاب عندهم يعني دراسة العلاقات القديمة بين الوحدات اللغوية في أي لغة, كتابية أو شفهية[10].

ومهما كانت التطورات التي طرأت على تحديد مفهوم الخطاب والتقدم الهائل الذي وصل إليه تحليل الخطاب, في الوقت الذي ظهرت فيه تخصصات أخرى تريد أن تتخذ من الخطاب موضوعها.

5. دمج تحليل الخطاب بالتخصصات الأخرى:

تحليل الخطاب فضاء معرفي تتقاطع فيه اللسانيات, وفعل التخاطب, وعلم النفس, وعلم الاجتماع, والتاريخ, والأنثروبولوجيا, والإثنوغرافيا, فالكثير من محللي الخطاب يمارسون هذا الدمج, سنقوم بإيضاح ما يمكن لتحليل الخطاب القيام به, وفي أي نقطة يصبح من الضروري أن تتولى منهجيات أخرى زمام الأمور, نظرا للتجاذب والتفاعل بينها وبين فنون تحليل الخطاب حسب التصورات المعرفية الإقرار بحضور منزع إيديولوجي يطبع في الكثير من الأحيان التحليل بتوجه اجتماعي أو سياسي.

إن تحليل النص جزء أساسي من تحليل الخطاب, لكن تحليل الخطاب لا يقتصر على التحليل اللساني للنصوص, ويتأرجح تحليل الخطاب بين التركيز على نصوص معينة والتركيز على ما يسمى نطاق الخطاب, أي البناء الثابت نسبياً للغة الذي يُشكل مكوناً في بناء الممارسات الاجتماعية والشبكة التي تؤلفها, الثابتين نسبياً أيضاً[11].

هناك تصورات ترى أن تحليل الخطاب فضاء لطرح الإشكالات أكثر مما هو فن حقيقي, أو هو فن طفيلي على اللسانيات, وتبعا لذلك فالنتائج ستخدم الأهداف المسطرة لها, ومتأثرة بتلك المرجعيات المحددة, فما الذي يوفره تحليل الخطاب من أدوات ومفاهيم إجرائية لدارس الخطاب؟.

لقد تجاوز تحليل الخطاب المقاربات الدلالية الصورية التي تنظر للعالم نظرة موضوعية, وتربط الصدق بشروط التطابق مع الواقع الخارجي, وكذا المقاربات التي تكتفي بالبعد التداولي الذي ينظر للسياق وكأنه معطى من طرف العبارة إلى مقاربات تربط البعد التداولي بالمعرفي, ومن ثم لم يعد الشغل الشاغل هو تحصيل المعرفة وفق أساليب مضبوطة, وبناء نماذج نظرية مغلقة[12].

هناك سببان للدمج بين تحليل الخطاب والنظرية الاجتماعية, يعود الأول إلى أن النظرية يمكن أن تلعب دوراً تكاملياً في المشروعات البحثية التكاملية, يقول تيو قان لقن في هذا ونقوم حالياً من خلال برنامج بحثي في جامعة كاردف بدراسة مجموعة من القضايا في مجال اللغة والاتصالات العالمية باستخدام مجموعة متنوعة من المنهجيات التجريبية, فندرس السياسات والممارسات التي تتبناها مجموعة من المؤسسات العالمية_ وسائل الإعلام العالمية, والمنظمات الحكومية وغير الحكومية الدولية, والسياحة والشبكات الشعبية العالمية_ وتؤثر في اللغة والاتصالات المعاصرة, وتتضمن المنهجيات التي نستعملها في التحليل اللغوي الاجتماعي, والمسوحات الكمية, وتحليل الخطاب متعدد الوسائط, والإثنوغرافي, ولغويات المتون[13].

أما الثاني فهو وثيق الصلة؛ فالمنظرون الاجتماعيون يحملون في جعبتهم منهجيات أقل من غيرهم من الباحثين الذين يعملون وفق منهجيات تجريبية معقدة, لذا نجدهم يحاولون الوصول لاكتشاف الظواهر الاجتماعية, والسياسية, المهمة والجديدة من قبل الباحثين العاملين في

التخصصات الأكثر تقييداً, ومعناه أن لهم استشعار خاص نحو التطورات الاجتماعية, والسياسية, والثقافية الجديدة, ومن ثم يمكنهم تنبيه الباحثين التجريبيين بالقضايا التي تستحق أن تدرس بعمق أكبر[14].

6. المابعدية وحداثة الخطابات:

مع نهاية عقد الثمانينيات وبداية العقد الأخير من القرن الماضي واجه المفكرون صعوبة في إعطاء مدلول دقيق لمصطلح ما بعد الحداثة؛ ذلك أن أمل الوصول إلى إعطاء تعريف جامع لما بعد الحداثة يتنافى المعرفية مع هذا الطرح, ويتناقض مع فكر ما بعد الحداثة، الأمر الذي يزيد هذا المصطلح غموضا، مما يجعل منه مفهوما يستعصى عن الفهم والإدراك.

ويعزو بعض الباحثين أن افتقار هذا المصطلح إلى الوضوح في تنوع الظواهر التي يعبر عنها، والتي يمكن إدراجها ضمن فئتين، الأولى تتمثل في الأعمال الفنية المتميزة بالمعارضة والتناص والاندماج المختلط, واللامتجانس بين الاتجاهات الأسلوبية العليا والشعبية، والثانية في ممارسات القراءة, والتأويلات الفلسفية التي تتميز بإنكار واضح لأي ادعاء بتمثيل الواقع بصورة حقيقية[15].

ويمكن القول وفقًا لوجهات نظر بعض الباحثين. ومقاربات بعض الإبستيمولوجيين أن مصطلح ما بعد الحداثة، يعبر عن مفهوم المفكرين العضويين Organic intellectuals ,حيث يمثل ما بعد الحداثيين مجموعة نخبوية من المفكرين, ينتمون إلى طبقة معينة ويمثلون جزءا من النخبة المثقفة, التي تشكل الهوية الذاتية لهذه الطبقة، وتمتلك أيديولوجية معينة، ويسعى هؤلاء المفكرون إلى تحقيق الاستقلالية والهيمنة انطلاقا من إدراكهم لأزمة مشروعية الحداثة الغربية وتآكلها[16].

ويقصد بـ ما بعد الحداثة النظريات والمدارس الفلسفية, والفكرية, والأدبية, والنقدية, والفنية, التي ظهرت ما بعد الحداثة البنيوية والسيميائية, واللسانية, وقد جاءت ما بعد الحداثة لتقويض الميتافيزيقا الغربية, وتحطيم المقولات المركزية, التي هيمنت قديما وحديثا على الفكر الغربي, كاللغة, والهوية, والأصل, والصوت, والعقل[17].

حيث إن رؤى الحداثة تتسم بالعقلانية المادية, يتوازى داخلها الإنسان/ المادة, ولكن الإنسان الحديث إنسان عقلاني مادي, ولذا فهو يتبنى رؤية علمية موضوعية, وهنا تبدأ عملية التفكيك بشراسة, فالمعرفة العلمية المادية معرفة موضوعية ترفض الغائيات الإنسانية والخلقية, والحقيقة العلمية المادية المنفصلة عن القيمة, والعقل المادي الذي يقوم بعملية متراكمة المعلومات, وتطبيقها كأداة تفكيكية لا تحترم الخصوصيات والأسرار, ولا تهتم إلا بالتشابه والتجانس والنفع[18].

ومن ثمة فقد كانت ما بعد الحداثة مفهوما متناقضا, ومدلولا مضاداً للحداثة, لذلك احتفت ما بعد الحداثة بأنموذج التشظي والتشتيت واللاتقريرية كمقابل لشموليات الحداثة وثوابتها, وزعزعت

الثقة بالأنموذج الكوني, وبالخطبة التقدمية, وبعلاقة النتيجة بأسبابها, وأحارت العقل والعقلانية, ودعت إلى خلق أساطير جديدة تتناسب مع مفاهيمها التي ترفض النماذج المتعالية[19].

وتلتقي مع ما بعد الحداثة في صفة المابعدية مع الدراسات البينية: أي دراسات ما بعد تخصّصية، وإذا كانت ما بعد الحداثة تعبر عن وضعية فكرية قامت على التشكيك في طروحات الحداثة، وفتوحات التنوير، فهل يمكن إدراج الدراسات البينية ضمن هذا التوجّه، الذي أسال كثيرا من الحبر، وخلق جدالات بين الفلاسفة والمفكرين؟.

إن المتأمل في المصطلحين، يدرك أن تصدّر السابقة(ما بعد) تشير إلى فترة تحقيبية للزمن الثقافي تركت وضعية الآن دون مساءلة، مثلما ذهب إلى ذلك ليوتار مفضلا السابقة re التي تعني إعادة كتابة الحداثة[20], في حين لا تفيد سابقة(بين أي تحقيب، حيث يندمج الزمن الماضي في الحاضر والمستقبل، فالبينية تفيد إعادة إنتاج التخصّصات بالبحث عما يمكن أن يوحّدها رغم اختلافها، فهي تحمل في داخلها التخصصات، ولا تتجاوزها مثلما هو الحال في ما بعد الحداثة. التي عبّرت عن أزمة وقعت فيها قيم الحداثة، فتمّ وضعها موضع تساؤل،انتهى إلى التشكيك في مصداقيتها, ورفضها بل إعادة كتابتها، ونبذ الوحدة والشمولية ، فهي حالة عرفتها الثقافة بعد التحولات التي شهدتها قواعد ألعاب اللغة الخاصة بالعلم والأدب والفنون منذ نهاية القرن التاسع عشر[21].

وباختصار فالحداثة بحسب غونتار ,Gontard تأسّست وفق نظام خطي ذي طابع جدلي سمح بالتفكير في الوحدة الشاملة، التي تعتبر العمل الأدبي بنية المجتمع, وهوية الذات نفسها، منظورا إليها في تقابلها مع الآخر ومع الأنا[22].

وهنا تختلف الدراسات ما بعد الحداثية عن الدراسات البينية، لقيام الثانية على البحث عن الحلول والإجابة على الأسئلة المعقدة, وإعادة النظر في بعض الظواهر، مهما تباعدت التخصّصات ظاهريا، أما الأولى فتبحث عن الضد، والسّعي وراء الحقائق المغيبة, وإعادة إنتاج المهمش، والسعي وراء الاختلاف وإنكار البدائل، فهي حركة عدمية، في حين أن البينية حركة تبحث عن الحلول والبدائل، وتتجاوز الحالة التي يفكر فيها كل الناس في كل شيء, كما دعى إدغار موران، لتوفير للطاقة والجهد من أجل التعاون الأفضل والإساهم في حلّ إشكالات عويصة, إنها طريقة جديدة في إنتاج الفكر والمعرفة، وتأسيس علم جديد تكون مُهمته حل المشاكل المعقدة التي تعبرُ التخصّصات[23].

7. خاتمة:

تهدف الدراسات البينية إلى:

تكثيف المعارف ودمجها: وتعني ربط المدارس الفكرية والتقنية وتكاملها, للوصول إلى مخرجات ذات جودة عالية مبنية على العلوم الأساسية, وعلى سبيل المثال: قضية الخطاب لا يمكن حلها من

خلال تخصص واحد, ولكن من خلال الدراسات البينية يمكن صياغة برنامج يجمع بين عدد من التخصصات.

الإبداع واختراق الفهم: تعني تطوير القدرة على عرض القضايا ومزج المعلومات من وجهات نظر متعددة؛ لتحدي الافتراضات التي بُنيت عليها وتعميق فهمها، مع الأخذ في الاعتبار استخدام أساليب البحث والتحقيق من التخصصات المتنوعة.

تحقيق التجاوز والتكامل : تعني إدراك الاختلافات ومواجهتها بين التخصصات المختلفة للوصول لوحدة المعرفة المتكاملة والأكثر شمولاً من المسموح به من قبل رؤية أي تخصص واحد.

الإنتاجية المعرفية: إن الحاجة إلى إجراء الدراسات البينية أصبحت أقوى، ويرجع ذلك إلى أن العديد من المشاكل التي تهم المجتمع لا يمكن أن تحل من طريق تخصص واحد، وإنما تتطلب دراسات بينية ذات رؤى واضحة.

الهوامش:

[1] أحمد أبو الحمائل وآخرون, (2009), رؤية استشرفيه لمستقبل التخصصات البينية للدراسات العليا الجامعية في عصر المعلوماتية, المركز العربي للتعليم والتنمية, السعودية, ص01.

[2] مجموعة مؤلفين, (2017), الدراسات البينية, مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة, جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمان, ص06.

[3] هاني خميس أحمد عبده, (2016), البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة, تجارب عملية وخيارات مستقبلية, مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية, مصر, العدد1, ص156.

[4] فريديريك داررباي, من أجل نظرية للبينيات, تر, 2018, عمار عامري ورضي عبد الله عليبي, مجلة فصول, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مج 2/26, عدد102, ص48.

[5] محمد سيد بيومي, (2016), معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية, مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية, جامعة السلطان قابوس, ص126.

[6] نبيل علي, (2005), تكنولوجيا المعلومات وتطور العلم, المكتبة الأكاديمية, مصر, ص80.

[7] محمد عابد الجابري, (1982), الخطاب العربي المعاصر, دار الطليعة بيروت, لبنان, ص8.

[8] آمنة بلعلى, (2017), الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات, مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية, جامعة الاسكندرية, العدد5, ص273.

[9] بن تومي اليامين, محاضرات تحليل الخطاب, النظرية والتطبيق, جامعة سطيف2, ص07,

[10] ديان مكدونيل : مقدمة في نظريات الخطاب, تر: عز الدين إسماعيل, المكتبة الأكاديمية,(مصر), 2001, ص27.

[11] نورمان فاركلوف, (2009), تحليل الخطاب, التحليل النصي في البحث الاجتماعي, تر: طلال وهبة, المنظمة العربية للترجمة, لبنان, ص21.

[12] حسان الباهي, (2014), تحليل الخطاب, مقاربة تداولية/معرفية, مجلة البلاغة وتحليل الخطاب, العدد4, ص20.

[13] تيو قان لقن, (2018), ثلاثة نماذج لتداخل التخصصات, تر: سامح كمال, مجلة فصول, الهيئة المصرية العامة للكتاب, المجلد 2/26, ع102, ص40.

[14] تيو قان لقن, المرجع السابق, ص41.

[15] فنسنت ليتش,(2000), النقد الأدبي من الثلاثينيات إلى الثمانيات, تر: محمد يحي, المجلس الأعلى للثقافة, مصر, ص80.

[16] جون ماكوري, الوجودية, تر: إمام عبد الفتاح إمام, ص18.

[17] جميل حمداوي,(2011), نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة, مكتبة المثقف, المغرب, ص15.

[18] عبد الوهاب المسيري ,(2006), دراسات معرفية في الحداثة الغربية, مكتبة الشروق الدولية, مصر, ص46.

[19] سعد البازعي وميجان الرويلي, (2002), دليل الناقد الأدبي, إضاءات لأكثر من سبعين تيارا نقديا معاصرا, المركز الثقافي العربي, المغرب, ص143.

[20] فرانسوا ليوتار, (2016), في معنى ما بعد الحداثة، نصوص في الفلسفة والفن، تر :السعيد لبيب، المركز الثقافي العربي، بيروت, لبنان، ص06.

[21] فرانسوا ليوتار, المرجع السابق, ص07.

[22] آمنة بلعلى, الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات, مرجع سابق, ص270.

[23] آمنة بلعلى, المرجع السابق, ص274.